البحوث والدراسات

الحفاظ على المناطق التاريخية: تجارب بعض البلاد العربية والكويت

د. علاء الدين علي شاهين*

ملخص:

اتسع مفهوم الحفاظ على المناطق التاريخية من بعد الحرب العالمية الثانية ليتعدى مفهومه التقليدي من حيث الاقتصار على عمليات الترميم والصيانة والمحافظة على الآثار إلى مفهوم أشمل يتضمن تجميل الأثر وتجديده والارتقاء بالمنطقة المحيطة به، وأحياناً إعادة توظيفه، وكذلك أسلوب تشييد المباني الجديدة المجاورة له في المنطقة التاريخية.

استعرض الباحث تجارب بعض البلاد العربية في هذا الشأن فاختار منها ثلاثة بلاد: المغرب في الغرب، والكويت في الشرق، ومصر في الوسط. ومن كل بلد اختار نموذجين؛ أحدهما يمثل المفهوم التقليدي لسياسة الحفاظ من حيث القيام بعمليات الترميم والصيانة والتجديد، والآخر يمثل المفهوم الأشمل من حيث التجميل والارتقاء بالمنطقة أو البناء الجديد باستلهام من خطوط المباني الأثرية بالمنطقة التاريخية.

وحاول الباحث أن تكون الأمثلة متنوعة، بين مدينة تاريخية عتيقة مثل "فاس"، وقرية ساحلية مثل "أصيلة" في المغرب، وبين مبان سكنية وحديقة أطفال في القاهرة. ومن الكويت اتخذ مثاله بوابات الأسوار القديمة والمنشأ الجديد "سوق الكويت".

الحفاظ على المناطق التاريخية:

الحديث عن الحفاظ على المناطق التاريخية يستدعي مترادفات عدة مثل الإحياء، الترميم، التجميل، التجديد، الصيانة، التطوير والارتقاء. هذه المترادفات يتداخل معناها

* دكتوراه في التصميم الداخلي، جامعة حلوان، جمهورية مصر العربية، عام ١٩٨٦م، وأستاذ مساعد بقسم التصميم الداخلي، كلية التربية الأساسية، الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب، دولة الكويت.

أحياناً مثلما تتداخل التخصصات التي تستدعيها كالعمارة والآثار والتخطيط العمراني. ولذلك فإنه من الأفضل – بداية – تحديد المفهوم أو المقصود بالحفاظ.

الحفاظ Conservation يرتبط – تقليدياً– بالآثار والمناطق التاريخية؛ حيث يشير أساساً إلى الحفاظ على الأثر من حيث الترميم Restoration والصيانة Preservation، إلا أن المفهوم الحديث يمتد أيضاً ليشمل الارتقاءupgrading بالمنطقة المحيطة بالأثر بدرجات متفاوتة، بل قد يدخل في مفهوم الحفاظ عملية التشييد الجديدة في منطقة الأثر بمعايير وأسس تراعي النهج القديم، وتحفظ للمكان طابعه التاريخي، وتبقي سجل الذاكرة لدى الأجيال متصلاً. من هذا المفهوم فإنه كثيراً ما يتداخل مفهوم الارتقاء مع مفهوم الحفاظ(١).

أما مفهوم الارتقاء فيشمل كل المناطق الأثرية وغير الأثرية، ويميل في مدلوله إلى التعامل مع العشوائيات والمناطق الريفية والشعبية بغرض تطويرها بدءاً من البنية الأساسية وانتهاءً بالتفاصيل الجمالية. وبصفة عامة فإن علاقة الارتقاء بالحفاظ هي علاقة العام بالخاص، أما في المناطق التاريخية فالمفهومان يتداخلان ويكادان يتحدان في المدلول. وكما هو العرف في الشأن الأكاديمي فإنه كثيراً ما تأخذ بعض الألفاظ منحىً اصطلاحياً لا يعول عليه تماماً كما تعنيه ألفاظه بقدر ما يعول على كيفية استخدام المصطلح واقعياً.

في هذا البحث يستعرض الباحث تجارب بعض البلاد العربية في الحفاظ على المناطق التاريخية، ويختار منها تجربة كل من المغرب ومصر والكويت. ومن كل بلد ساق الباحث مثلين للحفاظ؛ أحدهما يصنف تحت مفهوم الحفاظ في صورته "الاستاتيكية" من حيث الترميم والصيانة، والآخر في صورته "الديناميكية" من حيث التجديد Renovation والإحياء Rehabilitation وكذلك التشييد الجديد في المنطقة التاريخية.

---

(١) مراكز الدراسات التخطيطية والمعمارية، (١٩٨٦م)، **الارتقاء بالبيئة العمرانية للمدن**، دار الشروق، ص ١٨.

وحاول الباحث أن تكون الأمثلة متنوعة بين مدينة تاريخية عتيقة مثل "فاس" وقرية مثل "أصيلة" الساحلية في المغرب، ومبانٍ سكنية وحديقة أطفال في القاهرة، ومن الكويت اتخذ مثاله بوابات الأسوار القديمة و"سوق الكويت" المشيد حديثاً. وقبل أن يستعرض الباحث هذه التجارب فإنه يسوق موجزاً تاريخياً لبدء حركة الحفاظ على المناطق التاريخية عالمياً.

حركة الحفاظ الحديثة:

تعد الحرب العالمية الثانية العامل الأكثر فاعلية في نمو حركة الحفاظ على المناطق التاريخية في أوروبا؛ فإلى جانب حركة العمران الضخمة للمدن المضروبة والتسكين بأعداد كبيرة والمشروعات الطموحة وميلاد الاتجاهات الحديثة في العمارة والتأثيرات الأمريكية على المدن الأوروبية برزت أيضاً الحاجة إلى إعادة بناء المناطق التاريخية المدمرة وترميم المباني المتأثرة حفاظاً على تاريخ أوروبا.

وكان الجهد المبذول في الخمسينيات قاصراً على عمليات الترميم وإعادة البناء لما هو قديم جنباً إلى جنب مع البناء وفقاً لأساليب العمارة الحديثة الصاعدة، التي استغلت حالة ما بعد الحرب والدمار شبه الكامل لتنفيذ حركة تغيير معمارية واسعة. إلا أنه في الستينيات نمت حركة معارضة قوية ضد الصيحات المعمارية الحديثة من خلال تأسيس العديد من الجمعيات الأهلية المختلفة من المتخصصين والمثقفين والمتحمسين، وشنت هذه الجمعيات حملات معارضة قوية ضد الصيحات الحديثة من ناحية وضد التوسعات العمرانية وإنشاء الطرق الحديثة على حساب النسيج العمراني القديم من ناحية أخرى، وقد قامت هذه الجمعيات بالدور الذي كانت تقوم به الطبقة الراقية قبل ذوبانها اجتماعياً.(٢)

(٢) Yousry, A. (1995), **"Tward an Appropriate Approach to Conservation of Historica Areas in Egypt,"** Architectural Heritage & Tourism Architecture, Socity of Egyptian Architects,(P.5).

وفي سنة ١٩٧٥م اجتمعت دول أوروبا فيما يعرف بالمجموعة الأوروبية The Council of Europe، وأسست ما يعرف حالياً بـ "إعلان أمستردام" الذي نتج عنه مفهوم جديد لحماية الآثار والمناطق التاريخية يعرف بـ "مبدأ الحفاظ المتكامل" The Integrated Conservation، ويتلخص في أن الحفاظ عملية متكاملة لا تقتصر على الترميم أو الصيانة أو التجميل وإنما تشمل أيضاً عملية الارتقاء بالحالة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للبيئة من حول المنطقة التاريخية ضماناً للحفاظ عليها. وقد أطلق على عام ١٩٧٥م "عام الحفاظ في أوروبا"؛ حيث أعلن المجتمع الأوروبي انتهاء عهد التهاون في الحفاظ على الآثار وشنت حملات إعلامية كبيرة لتوعية الشعوب بالخسارة الواقعة والمستمرة في المناطق التاريخية، وصدرت تشريعات ومبادرات عديدة تحمل روح المسؤولية والحماسة في الحفاظ على الميراث التاريخي والثقافي لأوروبا.(٣)

مفاهيم جديدة:

لقد أثارت حركة الحفاظ الأوروبية ثلاثة أسئلة إستراتيجية مهمة من أجل بلورة مفهوم الحفاظ وآلياته: **لماذا نحافظ على المناطق الأثرية؟ وما الذي يجب أن نحافظ عليه؟ وكيف نحافظ عليه؟**. لقد أثارت هذه الأسئلة مناقشات عديدة وأثمرت آراء مختلفة.

يقول لينخ Lyinch – فيما يمكن أن نعتبره **إجابة عن السؤال الأول** –: إن الحفاظ يهدف إلى تواصل إحساسنا بالتاريخ وإثراء مفهومنا عن الزمن "Conservation aims at conveying a sense of history and enriching our image of time"(٤). ويمكننا إضافة بعد آخر لهذا المفهوم هو: أننا بالمحافظة

(٣) Inter Nationes Bonn- Bad Godesberg. (1974), **The Conservation of Historical Monuments in the Federal Republic of Germany,** Heing Moos Verlag, Munich.(P.7).

(٤) Yousry, A. (1995), **"Tward an Appropriate Approach to Conservation of Historica Areas in Egypt,"** Architectural Heritage & Tourism Architecture, Socity of Egyptian Architects, (Introduction).

على آثارنا لا نظهر فقط احترامنا لماضينا بل نستنفر أيضاً روح التغيير بإبقائنا على الشواهد القديمة التي تلهم الجديد.

إن حركة الحفاظ تتطلب أمرين رئيسيين: دراية بالتاريخ وأخذ احتياجات العصر في الاعتبار؛ بمعنى أن الحفاظ على الماضي يتضمن إدراك المسؤولية نحو المستقبل، وأن شروط العمل في الحفاظ ومعاملة ما تطور عبر القرون يستند إلى إيمان القائمين على هذه العملية بجدارة الأشكال والمفاهيم القديمة واستحقاقها للبقاء، وبأنها تمثل حلقة من حلقات الاتصال بالتطور الذي نعيشه، فهي ليست نهاية رمزية – في حد ذاتها – لأشكال ومفاهيم قد بادت وعلينا ألا نعبأ بها ولكنها حلقة مستمرة من الأجداد إلى الأحفاد.(٥)

أما عن إجابة السؤال الثاني: وما ينبغي أن يتم الحفاظ عليه فدائرته واسعة جداً. فالحفاظ لا يقتصر على المبنى ذي القيمة الأثرية أو الفنية وحده وإنما يشمل الكيان المعماري والبيئي من حوله "The Setting" أي العناصر المختلفة التي تكون الهيئة التاريخية "The Historical Image" لمنطقة بعينها من مبان وطرق وأشجار وأعمدة ومقاعد. إلخ، وهي ما يطلق عليه الألمان مسمى المجموعة "The Ensemble"، وقد يتسع نطاق المنطقة التاريخية إلى حجم مدينة بكاملها وتدخل كل أحيائها في دائرة الحفاظ، وقد تضيق دائرة الحفاظ لتقتصر على عنصر فني صغير كتمثال في واجهة قديمة.(٦)

ومن المدرك أن المناطق التاريخية لا تتكون فقط من مبانٍ تاريخية وما حولها في زمن معين نتاجاً لثقافة معينة ولكن ينظر إليها بوصفها وجوداً ديناميكياً "Dynamic Entity" طرأت عليه تغييرات في النسيج الطبيعي أو البناء الثقافي الاجتماعي من السطح إلى العمق. ولتنفيذ سياسة رشيدة للحفاظ في

---

(٥) Inter Nationes Bonn- Bad Godesberg. (1974), **The Conservation of Historical Monuments in the Federal Republic of Germany,** Heing Moos Verlag, Munich.(P.7).

(٦) ibid (p. 16).

مفهومنا الكامل فإننا نحتاج إلى مدخل أكثر تحديداً وانضباطاً لابد أن يأخذ في الاعتبار كل المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية ومتطلبات البنية الأساسية والخدمات والأنماط المعمارية المختلفة.

في مقولة "إبلييارد" حول الحفاظ **إجابة عن السؤال الثالث:** فقد ميز بين الحفاظ السطحي والحفاظ العميق. الحفاظ السطحي هو الذي يتعامل مع المظهر الخارجي والهيئة المعمارية للمنطقة التاريخية، أما الحفاظ العميق فيصون المباني التاريخية والمنطقة من حولها، ويقوم بتطوير البيئة كلها والارتقاء بها(٧).

فلسفة الحفاظ:

لقد تم اكتساب خبرات كثيرة فيما يختص "بالحفاظ" و"الصيانة" في مائة السنة الأخيرة ولا سيما بعد الحرب العالمية الثانية؛ حتى أصبح من الممكن الآن التكلم عن "فلسفة الحفاظ" التي أصبحت مطبقة عالمياً. إن الحفاظ يهدف إلى التدخل في المباني التاريخية الباقية بأقل حد من الإضافة التي لا تزيد إلى الحد الذي نخسر معه ملامح الأثر القديم، ولا تقل إلى الحد الذي يمكن معه أن تتدهور حالة الأثر بحيث يستبدل به مبنى جديد. هذه الأهداف تتعارض مع السرعة في الترميم واتخاذ القرار على عجل، وتتطلب التفكير والروية والمهارة والمثابرة والتدريب والوقت الكافي. وحتى قطعة صغيرة من الزخرفة لا يمكن استبدالها من غير تمحيص ملامحها الخاصة واستقراء تاريخها(٨).

ترميم الآثار:

من المفاهيم الجديدة في مجال الترميم؛ ضرورة الحفاظ على أي أثر ما دام يحتفظ بأجزائه الأساسية. إن بقاء واجهة مبنى أثري – حتى وإن دمر داخله

---

(٧) Yousry, A. (1995), **"Tward an Appropriate Approach to Conservation of Historica Areas in Egypt,"** Architectural Heritage & Tourism Architecture, Socity of Egyptian Architects,(P.11).

(٨) Inter Nationes Bonn- Bad Godesberg. (1974), **The Conservation of Historical Monuments in the Federal Republic of Germany,** Heing Moos Verlag, Munich.(P.17).

كاملاً – هو مسوغ لبقائه وإصلاحه، ولكن هذا المفهوم أحياناً ما يهتز إذا ما كان المبنى الأثري متواضع المستوى وغير ذي قيمة فنية أو كان نسخة من نموذج أثري متكرر، حينئذ يبرز التساؤل عن جدوى ترميمه.(٩)

إعادة التوظيف Re-Allocation:

لقد تعدى مفهوم الحفاظ في أوروبا عمليات الترميم والصيانة إلى مفهوم أكبر، قد يشمل في بعض الأحيان إعادة المبنى أو الحي إلى حالته الأصلية (الإحياء) "Rehabilitation" وقد يعني إعادة توظيف الأثر في غير غرض إنشائه الأصلي "re-use" أو "Re-Allocation"، كما يشمل الحفاظ تنسيق البيئة المحيطة بالأثر من جوار سكني إلى طرقات وأشجار وخلافه Landscaping & Street Furnishing. إن مدلول الحفاظ أشمل من معنى الترميم والصيانة والتجميل، وقد يستخدم بديلاً عنها كلها، وأحياناً ما يستعمل بديلاً عن الترميم خصوصاً أن الترميم من الناحية التقنية غالباً ما يقصد به الأعمال الظاهرية التي لا تتعرض لهيكل المبنى، أما الحفاظ فيشمل الأعمال الأساسية التي تتم لضمان سلامة المبنى من ناحية أساساته أو حوائطه الحاملة أو ما شابه ذلك.

إن إعادة توظيف المباني من أنجح طرق المحافظة ولا سيما مع تلك التي لم يعد لوظيفتها الأساسية استخدام في الزمن المعاصر، مثال الوكالات والقلاع والأسبلة. وإن هناك فرقاً كبيراً بين مبنى أثرى يعاد إلى وظيفته الأصلية وآخر يستغل في وظيفة أو غرض جديد؛ إذ إن جهود الترميم في الحالة الأولى تكون جهوداً تقليدية، أما في الحالة الثانية فإن أسلوب الترميم وتهيئة المبنى للاستخدام الجديد يستلزم تقنيات حديثة تتدخل في هذه العملية. إن فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية أتاحت بصورة كبيرة حلولاً كثيرة لإعادة توظيف المباني وإجراء بعض التغييرات المناسبة حتى وإن تطلب ذلك إضافة بعض الملاحق

(٩) Inter Nationes Bonn- Bad Godesberg. (1974), **The Conservation of Historical Monuments in the Federal Republic of Germany,** Heing Moos Verlag, Munich.(P.18).

بجانب المبنى الأثري. وإن الحلول المختلفة لإعادة توظيف المباني ليست متشابهة، فكل حالة لها قرارها الخاص وعلى المخطط لعملية الحفاظ أن يختار الحل المناسب لكل مبنى، وهو ما توحي به عادة حالة المبنى، وتكون إجابة كثير من الأسئلة كامنة بين جدرانه.(١٠)

وبصفة عامة فإن المبنى المراد إعادة توظيفه لابد أن تتوافر فيه عدة صفات، من أهمها: أن تسمح فراغاته بالوظائف الجديدة دون أي تغيير جوهري، وألا تتعدى أعمال الترميم والتجهيز للوظيفة الجديدة ٥٠٪ من قيمة منشأ جديد يمكن أن يحل محل القديم. هذا بالإضافة إلى التزام الهيئة القديمة للأثر. إن الأجزاء الجديدة التي تلزم إضافتها لا يشترط أن تقتفي أثر الأثر من حيث الخامة وطابع التصميم، بل يمكن أن تكون الإضافة مختلفة تماماً وفقاً لرؤية المصمم.

التجديد والتجميل:

يبذل كثير من الجهد في الوقت الحاضر لعمليات التجديد Renovation والتحديث Modernization والتجميل Enhancement. ويشمل ذلك العديد من العمليات التي يمكن تطبيقها في كثير من المواقع سواء تلك التي تحتوي على مبانٍ أثرية أو جديدة نسبياً. وفي المناطق التاريخية فإن من أهم مهام هذه العمليات إحداث التوافق بين المباني الحديثة والقديمة، والتأثيث الحضري للشوارع والميادين وجميع عناصر حيز الفراغ بالأسلوب المناسب.

البناء في المناطق التاريخية وخارجها:

أثارت حركة الحفاظ في أوروبا أسئلة عديدة حول الأثر والحفاظ عليه من حيث الترميم والتجديد وإعادة التوظيف، وأثارت – أيضاً – عدة أسئلة حول طابع البناء في المناطق التاريخية وفي خارجها؛ ولا سيما السؤال الذي مفاده: كيف يكون البناء بجوار الأثر؟ وانتهى النقاش إلى اتجاهين أساسيين؛ الأول:

(١٠) Idem

البناء بحرية كاملة وبخطوط وأسلوب عصري جنباً إلى جنب مع الأثر، والآخر: مراعاة خطوط الأثر وطرازه والبناء بجواره بخطوط تحاكي خطوطه أو تستلهم منها(١١).

الحفاظ على المناطق التاريخية في المغرب:

أ- تجربة أصيلة:

تعد المغرب من الدول الرائدة في المنطقة العربية في مجال الحفاظ على التراث التاريخي المحلي، وقد قامت بكثير من المشروعات الخاصة بالترميم والحفاظ على المناطق التاريخية في كل من الرباط والدار البيضاء ومراكش وفاس ومكناس وطنجة.

وفي مجال الإحياء والتجديد والارتقاء تقف مدينة "أصيلة" المغربية نموذجاً ناجحاً على صعيد العالم العربي؛ ففي بداية متواضعة ولكن برؤية طموحة، أخذت مجموعة من أبناء مدينة "أصيلة" على عاتقها مهمة الارتقاء بمدينتهم من الناحية الشكلية والثقافية. ومع المثابرة والجهد نجحوا في استثارة وعي أهليهم وحماستهم لينفذوا رؤيتهم (شكل رقم ١).

وكثمرة لمجهوداتهم عقد احتفال ثقافي في "أصيلة" صيف ١٩٧٨م جذب إليه نحو ١٠٠٠ زائر، معظمهم من الأنحاء المجاورة. هذا الحدث على الرغم من تواضعه أعطى أهل أصيلة ثقة بأنفسهم وبما أنجزوه. وتعزز هذا الإنجاز بمرور السنين. والآن فإن المهرجان الثقافي "الموسم" في أصيلة يجذب نحو ١٢٠٠٠٠ زائر من كل أنحاء العالم. وأصبح أكبر احتفال ثقافي في المغرب، ومن أهم الاحتفالات في العالم العربي وأفريقيا.

---

(١١) Inter Nationes Bonn- Bad Godesberg. (1974), **The Conservation of Historical Monuments in the Federal Republic of Germany,** Heing Moos Verlag, Munich.(P.18).

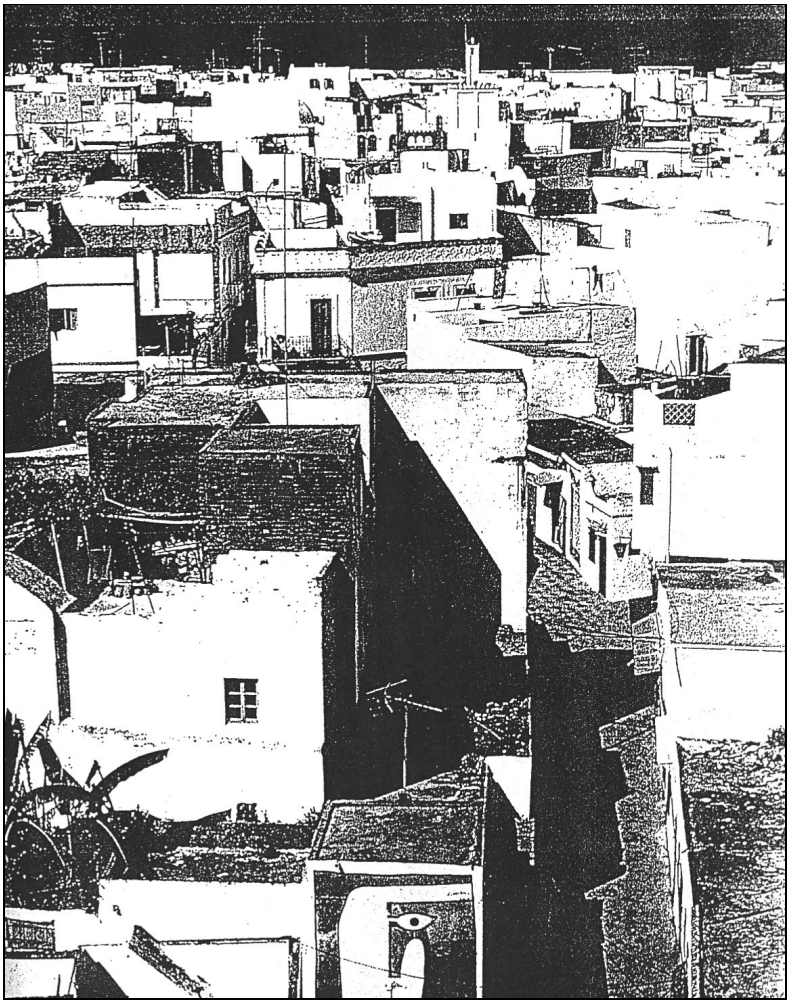

(شكل رقم ١) – قرية أصيلة

إن جوهر النجاح في تجربة "أصيلة" هو اعتمادها على مشاركة الجماهير بمن فيهم الأطفال والسيدات إلى جانب ممثلي السلطات المحلية. لقد جذب هؤلاء الرجال الذين أنجزوا المهمة أنظار الجميع سواء في المغرب أو العالم العربي أو أفريقيا حتى إن واحداً منهم قد عين وزيراً للثقافة المغربية (محمد بن عيسى).

وتعود أصول مدينة "أصيلة" الساحلية – التي تقع في الطرف الشمالي الغربي من المغرب وعلى بعد نحو ٤٥ كم إلى الجنوب الشرقي من طنجة – إلى زمن الفينيقيين، وكانت تسمى زيلي Zili. وفي العصور الوسطى أصبحت مركزاً تجارياً للبرتغاليين، ومازالت الأسوار الدفاعية التي بنيت وقتها باقية، وتمثل أثراً مهماً في المدينة. وتعد "أصيلة" حالياً ميناء وسوقاً ومركزاً للنشاط الثقافي ومنتجعاً صيفياً. إن ميراثها المعماري قد تم إحياؤه بواسطة جهود مجموعة مختارة قامت بوضع خطة المشروع. إن عملية الإحياء Rehabilitation وإعادة التوظيف re-use استمرت لمدة ١٥ سنة، واشتملت على أعمال ترميم لكثير من الآثار وتطوير لخدمات البنية الأساسية.

شملت أعمال الترميم إعادة المباني التاريخية لأصلها، ومن أهمها: برج القمرة (شكل رقم ٢)، وقصر الريسون الذي بني أوائل القرن العشرين (شكل رقم ٣)، والتحصينات الفينيقية (شكل رقم ٤). كما شملت الأعمال الصيانة المستمرة للبيوت الخاصة والمباني العامة والجوامع. وقد شجعت كل هذه الجهود السكان على تطوير مبانيهم الجديدة التي تقام في أماكن البيوت الخربة والمتهدمة، وذلك بصورة تواكب الطابع الجديد للمدينة، وكذلك إعادة رصف الطرقات وتبليط الأرضيات بصورة فنية (شكل رقم ٥) وإنشاء المباني الجديدة التي تسهم في إثراء الاحتفال الثقافي السنوي للمدينة كمبنى "مركز الحسن الثاني" للملتقيات الدورية (شكل رقم ٦).

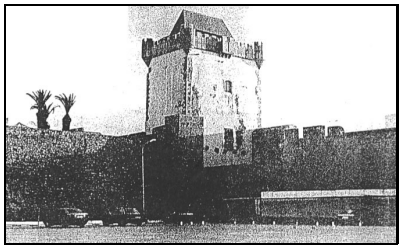

(شكل رقم ٢) – برج القمرة

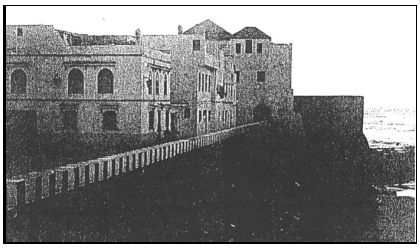

(شكل رقم ٣) – قصر الريسون

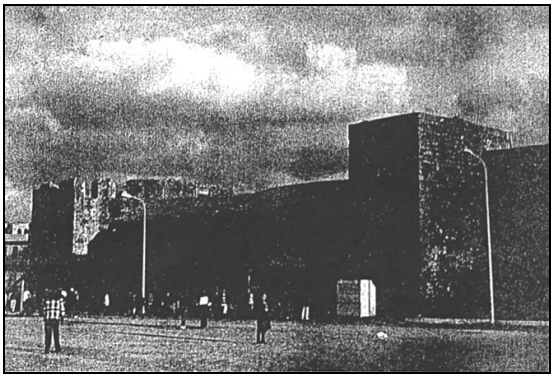

(شكل رقم ٤) – التحصينات الفينيقية

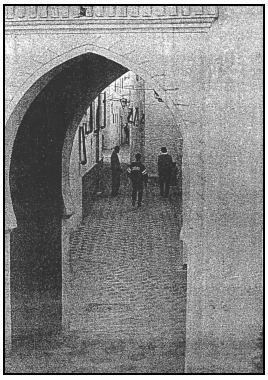

(شكل رقم ٥) – تبليط الطرقات وطلاء المباني

(شكل رقم ٦) – مركز الحسن الثاني للملتقيات الدولية

وتضمنت أعمال التطوير إعادة تنظيم ساحات الأنشطة التجارية، مثل ساحة السوق بجوار التحصينات الفينيقية مباشرة (شكل رقم ٧)، وإدخال اللمسات الفنية وعمل اللوحات الجدارية التي قام بتنفيذها فنانون محليون شاركهم فيها بعض الفنانين التشكيليين المتحمسين للفكرة مثل "جورج البهجوري" المصري – الفرنسي (شكل رقم ٨).

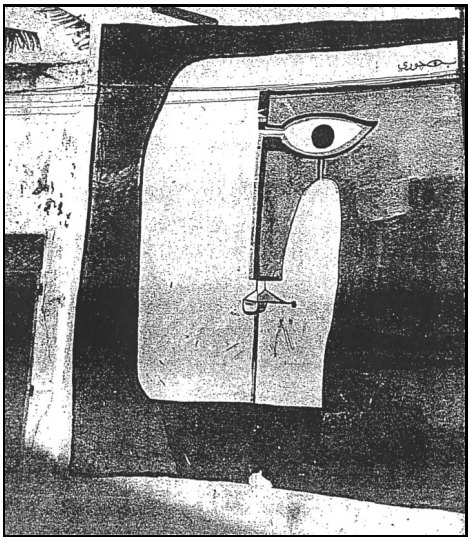

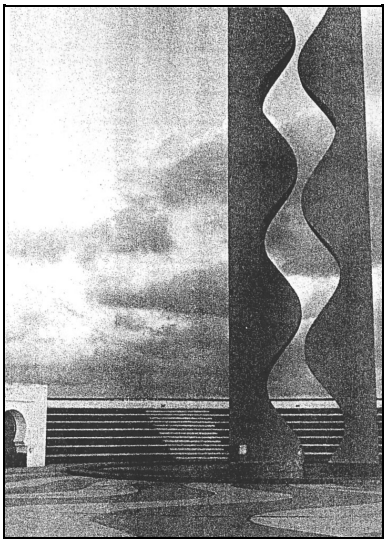

(شكل رقم ٧) – تجميل ساحة السوق (شكل رقم ٨) – جدارية للفنان جورج البهجوري

وفازت تجربة "أصيلة" بجائزة منظمة الأغاخان ١٩٨٣م في مجال الحفاظ والتجديد.(١٢)

ب– تجربة مدينة فاس القديمة(١٣):

أخذت تجربة الحفاظ على مدينة فاس طريقها إلى حيز التنفيذ بالتعاون بين السلطات المحلية واللجنة الدولية لمنظمة اليونسكو، وارتكزت خطتها على عدة ملامح أساسية، من أهمها:

١ – فصل مدينة فاس القديمة عن فاس الحديثة، وذلك بإحاطتها بمساحة كبيرة من الحدائق العامة والقيام بأعمال ترميم لسورها.

٢ – المحافظة على التخطيط المعماري القديم وشكل الشوارع والطرقات والمباني وعدم السماح ببناء أي مبنى داخل المدينة يشذ عن تشريعات الحماية.

---

(١٢) Aga khan Foundation. (1983), **the Aga Khan Award Catalog** A.U.C press, (P. 8)

(١٣) د. حسام عزمي، د. محمد إلهامي علي، (١٩٩٥م)، أهمية ازدهار النسيج الحيوي للمدينة التاريخية. Architectural Heritage & Tourism Architecture, Socity of Egyptian Architects (P.75)

المدينة والسكان:

كشأن المدن العربية القديمة يتوسط المسجد الكبير – مسجد القرويين – الميدان الرئيسي لفاس القديمة، ومنه تخرج الشوارع الرئيسية المنكسرة والمسقوفة في بعض أجزائها ليؤدي معظمها إلى أبواب المدينة. وحول مسجد القرويين – أقدم الجامعات الإسلامية – تتركز المباني الرئيسية وسكن الطلبة والمكتبة العامة والساحات. وعلى جانبي الشوارع تصطف المباني التقليدية، ومن أسفلها المحال ذات الأبواب الخشبية المتشابهة.

ويقوم النشاط التجاري في المدينة على خدمة طلاب العلم في جامعة مسجد القرويين سواء من ناحية البيع والشراء أو التسكين. كما تقوم بعض الأنشطة الحرفية على خدمة السياحة. وقد شهدت فاس القديمة حركة ترميم واسعة للآثار القديمة بالمدينة والارتقاء بالمناطق المحيطة بها مثال مسجد القرويين (شكل رقم ٩)، وزاوية سيدي أحمد التيجاني (شكل رقم ١٠)، وأسوار المدينة القديمة وباب الفتوح (شكل رقم ١١)، وكذلك ترميم الشوارع والطرقات القديمة لتبقى على هيئتها التاريخية (شكل رقم ١٢). كما امتدت أعمال الحفاظ إلى مدينة فاس الجديدة أيضاً التي تحتفظ مبانيها بالطابع التقليدي، وهو ما نلاحظه في شارع "بوالخصيصات" بحي الملة؛ حيث تبدو الواجهات وقد حافظت على نسق واحد تقليدي (شكل رقم ١٣).

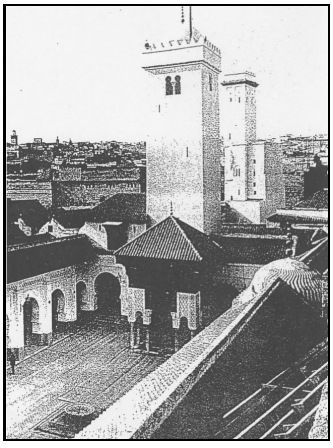

(شكل رقم ٩) – مسجد القرويين

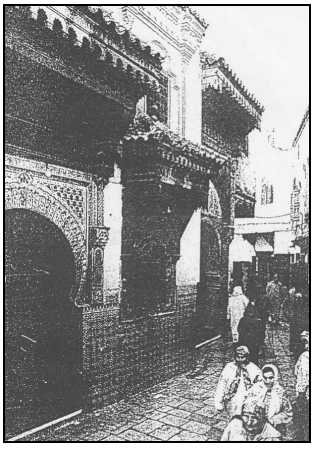

(شكل رقم ١٠) – زاوية سيدي أحمد التيجاني

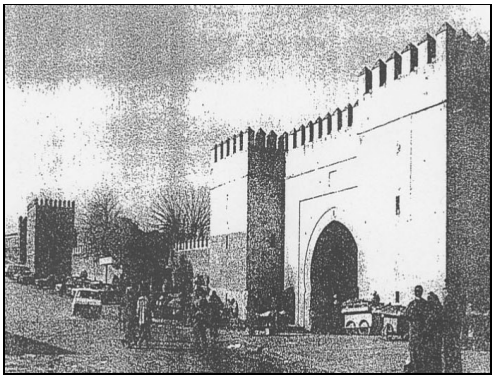

(شكل رقم ١١) – باب الفتوح

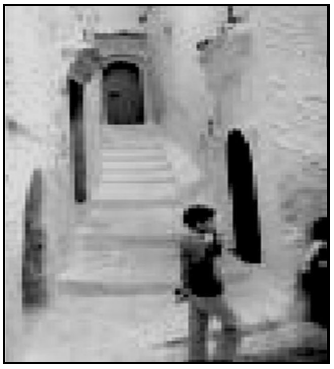

(شكل رقم ١٢) – طرقات المدينة القديمة

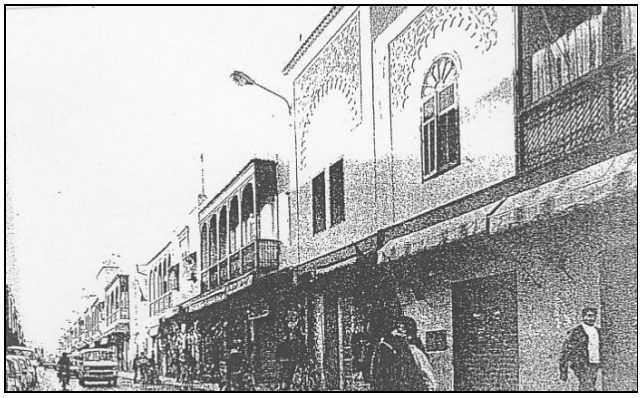

(شكل رقم ١٣) – شارع بو "الخصيصات"

التجربة:

إن تحويل فاس إلى مزار سياحي تاريخي ومركز لطلاب العلم قد آتى ثماره إلا أن ذلك لم يمنع من توجيه نقد أساسي لهذه التجربة. فهي إذا كانت قد حافظت على الشكل التقليدي للمدينة القديمة بصورة صارمة و "مظهرية" فإنها افتقرت إلى عنصر التفاعل بين السكان الأصليين والنشاط الشكلي المفروض عليهم التعايش معه. كثير من المتاجر اضطر أصحابها إلى إغلاقها لقلة حركة البيع والشراء؛ حيث تتعرض السياحة لفترات ركود من آن لآخر، كما أن عدد

الطلاب يقل في أثناء فترات العطلات الصيفية الطويلة مما يؤثر على دخل المواطنين ونشاطهم. كما أن المحافظة على وسائل النقل داخل المدينة – التي مازالت تجرها الدواب – أمر لم يخل من بعض المآخذ.

وكذلك فإن عدم الأخذ بالأساليب العصرية في معايش الناس وأنشطتهم قد جعل فاس القديمة في وضع متدن عن فاس الحديثة؛ فالمدينة تشكو نقصاً في إمكانيات كثيرة وخدمات ضرورية كخدمات الاتصال والنقل والمواصلات، والمراكز الترفيهية، والبنوك والمصارف. وقد أدى ذلك إلى نزوح كثير من السكان القادرين على الإسهام في أعمال التطوير والصيانة إلى خارج المدينة القديمة وبقاء السكان المنتفعين البسطاء فقط. إن تحويل فاس القديمة إلى محمية تاريخية أو متحف كبير هو أمر رائع من الناحية الشكلية بكل المقاييس ولكن فقدان النسيج الحيوي للمدينة التاريخية يثير الشكوك حول النجاح الكامل للتجربة(١٤).

القاهرة وجهود الحفاظ:

مصر دولة عظيمة في إرثها الأثري بدءاً بالآثار الفرعونية ومروراً باليونانية والرومانية والقبطية والإسلامية وانتهاء بالمباني الكلاسيكية الأوروبية ذات الطرز المتنوعة التي يرجع معظمها إلى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. تختص القاهرة بالزخم الأكثر في إرثها الإسلامي، ولا غرو، فهي العاصمة الإسلامية التي أسسها الفاطميون، وشهدت شوارعها تطور عمارتها الإسلامية عبر العصور، ومنها الشارع الأعز؛ شارع المعز لدين الله الفاطمي. وأحاطت أسوارها وأبوابها الشهيرة بعدد ضخم من الآثار في بقعة مركزية فريدة، هي القاهرة القديمة أو قاهرة العصور الوسطى كما يطلق عليها أحياناً.

(١٤) د. حسام عزمي، د. محمد إلهامي علي، (١٩٩٥م)، أهمية ازدهار النسيج الحيوي للمدينة التاريخية. Architectural Heritage & Tourism Architecture, Socity of Egyptian Architects (P.76)

وقد بدأت جهود الحفاظ على القاهرة القديمة منذ أن أسست لجنة حفظ الآثار العربية في عام ١٨٨١م في زمن الخديوي محمد توفيق، وبذلت هذه اللجنة كل الجهود، ونجحت نجاحاً مشهوداً في الحفاظ على الآثار الإسلامية على صورتها الباقية حالياً. ثم انتقلت أعمالها إلى وزارة الأوقاف ثم إلى وزارة المعارف في سنة ١٩٣٦م، ومن بعد ذلك إلى وزارة الثقافة من خلال هيئة الآثار المصرية حيث سميت في داخل الهيئة لجنة حفظ الآثار الإسلامية(١٥).

لم يكن قبل سنة ١٩٨٠م ذكر للحفاظ الشامل بوصفه مفهوماً وسياسة في التعامل مع المناطق التاريخية في مصر؛ إذ اقتصرت جهود الحفاظ – قبل هذا التاريخ – على ترميم الآثار وإصدار بعض التشريعات الخاصة بحمايتها. ويعد مشروع إعادة تخطيط قاهرة الفاطميين سنة ١٩٦٠م أول مشروع ضخم يدمج بين سياسة الحفاظ وسياسة الارتقاء بالقاهرة القديمة.(١٦)

وتداخلت جهود دولية للحفاظ على آثار القاهرة الإسلامية، وكللت هذه الجهود بدخول مدينة القاهرة القديمة في اتفاقية التراث العالمي في سنة ١٩٧٩م، ومن ثم دخلت ضمن المناطق التي تحميها هذه الاتفاقية التي أصبح لزاماً على لجنة التراث العالمي لـ "اليونسكو" حماية آثارها.(١٧) كما بلورت كثير من بلدان العالم المتقدم اهتماماتها بتراث القاهرة الإسلامية في عدة مراكز أكاديمية ومجموعات عمل قامت بكثير من مشروعات الترميم والصيانة، وحققت كثيراً من مفاهيم الحفاظ وتطبيقاته.(١٨)

---

(١٥) عبدالرحمن زكي، (١٩٦٦م)، **الحفاظ على القاهرة الإسلامية وتنميتها**، جمعية التنمية الحضارية للقاهرة الإسلامية، ص ٥.

(١٦) المكتب العربي للتصميمات والاستشارات الهندسية، (١٩٨٠م)، **إحياء قاهرة العصور الوسطى**، ص ١٩٨.

(١٧) Meinecke, M. (1980), **Islamic Cairo: Architectural Conservation and Urban Development of the Historic Center**, German Institute of Archaeology, (P. 30).

(١٨) إبراهيم الويلحي، (١٩٨٠م)، **الحفاظ على القاهرة الإسلامية وتنميتها**، جمعية التنمية الحضارية للقاهرة الإسلامية، ص٦.

وقد اختار الباحث من بين هذه المشروعات مشروعين؛ لكنه لم يخترهما من المباني الدينية التي تحظى بجهود ترميم متواصلة، أو من المشروعات الكبرى التي حظيت برصد إعلامي أو سابقة نشر، أو من تلك التي لم تحقق مخططاتها بصورة كاملة كمشروع تطوير حي الجمالية[١٩]. وإنما هما مشروعان تم تنفيذهما بصورة ناجحة على صعيد سياسة الحفاظ من منطلق التواصل الاجتماعي والمشاركة الفعالة بين المصمم والمواطنين والسلطات المحلية.

نموذجان لمشروعين محدودين تم تنفيذهما:

من النماذج الناجحة للتجارب أو المشروعات المحدودة في مجالي الارتقاء والحفاظ: مشروع ارتقاء بالمناطق الشعبية متمثلاً في حديقة الحوض المرصود بحي السيدة زينب، ومشروع صيانة وتجديد بعض المباني السكنية القديمة بحي الأزهر.

١ – مشروع إنشاء حديقة الحوض المرصود بحي السيدة زينب:

المشروع يتمثل في حديقة ثقافية للأطفال في حي السيدة زينب بجوار مسجد أحمد بن طولون، وهو يحتوي – بالإضافة إلى الملاعب والحدائق – على متحف للأطفال، ومسرح مفتوح، ومكتبة. وتبلغ مساحة الموقع نحو ٢,٥ فدان من الأراضي التي كانت – فيما سبق – مكاناً لبركة أو "منظرة" (حديقة)، كما كان يطلق عليها في العصور الوسطى. ثم تحولت إلى حديقة في عهد الخديوي إسماعيل، ومازال بعض أشجارها التاريخية باقياً في مكانه بالحديقة الجديدة. وقد تعرض الموقع للإهمال وسوء الاستعمال أيضاً إلى أن بدرت فكرة إحيائه وإعادة الحديقة القديمة بتصميم جديد إلى الحياة. وقد طرحت الفكرة في صورة مسابقة قومية في سنة ١٩٨٣م، وفاز مكتب أ. د عبدالحليم إبراهيم بالجائزة الأولى، وقام بتمويل إنشاء الحديقة والإشراف على تنفيذها وزارة الثقافة[٢٠]. إن

---

(١٩) The Arab Bureau For Design & Technical Consultations. (1985),Upgrading and Rehabilitation of al - Gmaliya Quarter, Final Background Report, (Passim)

(٢٠) عبدالحليم إبراهيم، (١٩٨٧م)، **الارتقاء بالأحياء الشعبية في المراكز الحضرية**، مجلة عالم البناء، العدد ١٠٢، ص ٣٠.

هذا المشروع يجسد نجاح تجربة معمارية مهمة جديرة بالاعتبار على أكثر من مستوى، ويتمثل ذلك في:

أ – تجسيد الذاكرة التاريخية في صورة إعادة إنشاء حديقة في الموقع نفسه الذي أقيمت عليه المنظرة أو الحديقة التاريخية في العصور الوسطى.

ب – نجاح فكرة التصميم في التوافق مع البيئة من حوله والوصول إلى نسق معماري واضح؛ حيث استلهم المصمم خطوطاً تصميمية من التكوين الحلزوني لمئذنة جامع أحمد بن طولون الذي يقع على بعد مئات أمتار قليلة من الحديقة. والتصميم يتمثل في ثلاث مجموعات من الدوائر؛ كل منها يتحد مركزه حول بقعة رئيسية في الموقع القديم أو عنصر معماري في التصميم الجديد. وقد اختيرت الحجارة مادة للبناء، واستخدم أسلوب الحائط في التشييد مع العقود والأقبية والقباب (الشكلان رقما ١٤ و ١٥).

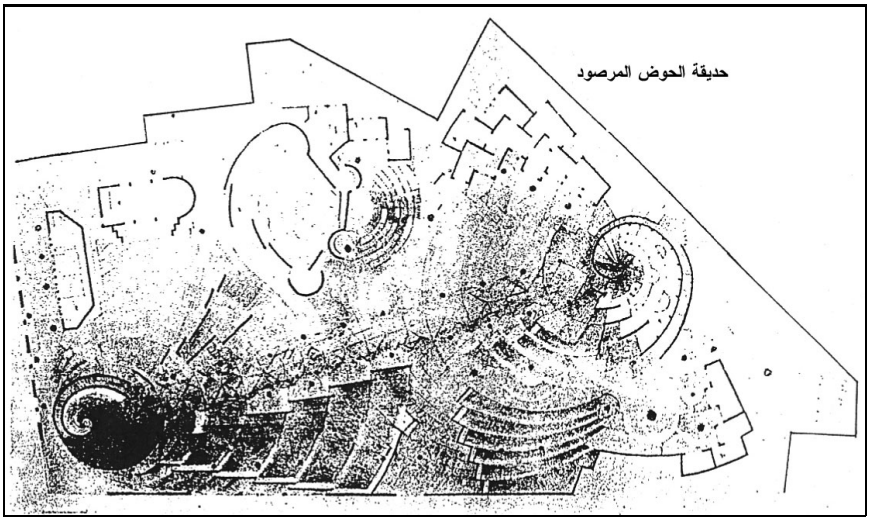

(شكل رقم ١٤) – مسقط عام للحديقة

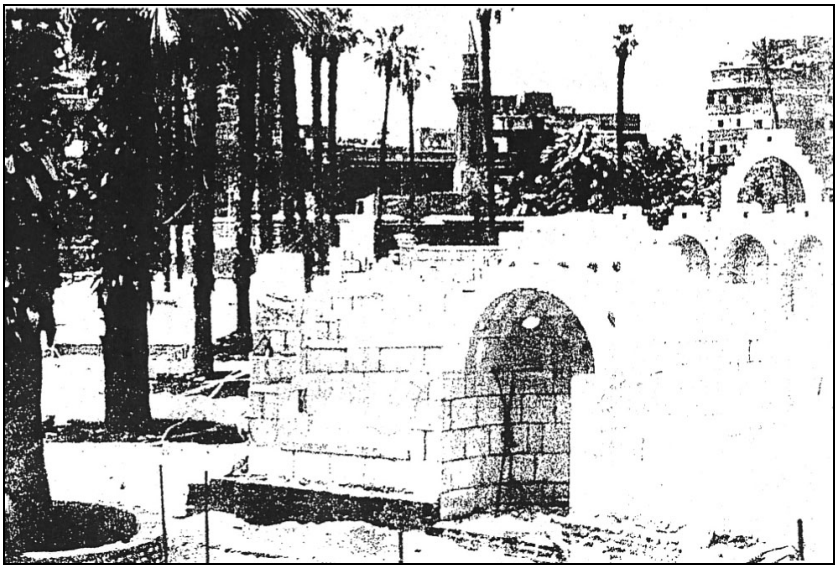

(شكل رقم ١٥) – بعض العقود الحجرية

جـ – النجاح في الارتقاء بالمنطقة بعد أن تحولت إلى بؤرة مهملة، واستفادة أطفال الحي منها وأهليهم في كونها متنفساً بيئياً وبقعة بصرية جميلة.

د – النجاح في التغلب على العواقب البيروقراطية التي كان يمكن أن تجهض مثل هذا المشروع – كما أجهضت قبله مشروعات كثيرة – لولا الجهود الجادة للقائمين على المشروع ومؤازرة وزارة الثقافة وتحمس سكان المنطقة له. وقد كلل نجاح هذا المشروع بفوزه بجائزة الأغاخان المعمارية(٢١).

٢ – تجربة قسم العمارة بجامعة الأزهر في تجديد بعض المنازل التقليدية بحي الأزهر(٢٢):

لقد كان المنظور الذي تحركت من خلاله مجموعة العمل بقسم العمارة في

(٢١) Aga khan Foundation. (1989), **the Aga Khan Award Catalog** A.U.C press,(P. 16).

(٢٢) 13. Said, S.Z. (1995), **"Old Houses of Cairo: An Experiment to Save Them"**, Architectural Heritage & Tourism Architecture, Society of Egyptian Architects, (P.99).

جامعة الأزهر بقيادة د. صلاح زكي سعيد إلى تجربة ارتقاء في حي الأزهر – هو الإحساس بالخسارة المتوالية من فقدان البيوت التقليدية الشعبية غير المسجلة في قائمة الآثار، وذلك نظراً لبنائها من مواد أقل مقاومة للزمن من تلك التي بنيت بالأحجار كشأن المباني الدينية وبيوت الأمراء والنبلاء، ومن ثم كانت هذه التجربة محاولة لإنقاذ بعض المباني التاريخية المهمة في الحي وتصنيفها، ثم ضم هذه المجموعة – التي يرجع تاريخ إنشائها إلى القرنين التاسع عشر والعشرين – إلى قائمة آثار مصر الإسلامية.

إن معظم المنازل التقليدية في القاهرة القديمة تعود إلى هذين القرنين، وهي من الناحية الاجتماعية مزيج من مباني الأسرة الواحدة والمتعددة الأسر، وتراوح ارتفاعاتها من طابقين إلى خمسة طوابق. وفي السنوات العشر الأخيرة بدأت جامعة الأزهر أول خطوات بحثها الميداني في رصد المباني المهمة التي لها طابع معماري خاص أو ميزة فنية، وتم توصيفها وعمل المخططات اللازمة لها، وقدم مقترح لترميمها وتجديدها.

وكانت المنطقة المختارة للبحث هي المنطقة المحاطة بشارع الأزهر شمالاً وبالقلعة جنوباً وبسور القاهرة وتلال المقطم شرقاً وشارع بورسعيد غرباً. وكان مجموع المساكن التي ضمتها القائمة عشرين مسكناً، اختارتها مجموعة العمل من نماذج المساكن المستقلة وليس من الوحدات السكنية الثانوية المشتركة مع نشاط آخر، كما هو الحال في "الوكالات" أو "الرباع" أو "الأحواش"، وقد قسم البحث نموذج المنزل التقليدي إلى **ثلاثة أقسام**.

١ – المنزل ذو الفناء وتسكنه أسرة واحدة.

٢ – المنزل ذو الفناء وتسكنه عدة أجيال من الأسر.

٣ – المنزل المؤجر لعدة أسر.

واتخذ البحث منزل "زينب خاتون" المعروف بحي الأزهر والمسجل **بقائمة الآثار** مثالاً للنموذج الأول، وقام بدراسة حالته. وللنموذج الثاني منزل

"**ساكنه**" بالخليفة. وللنموذج الثالث منزل "**سكر**" بشارع المهجر بجوار القلعة، ويرجع تاريخه إلى نهاية القرن التاسع عشر.

إن الانجاز المهم لتجربة جامعة الأزهر يتمثل في:

١ – التوثيق الأكاديمي لهذه المنازل من خلال قوائم تشمل أسماءها، وتواريخ إنشائها، ووصف حالتها، ورسم مساقطها، ومقترح الترميم والتجديد لها، (شكل رقم ١٦).

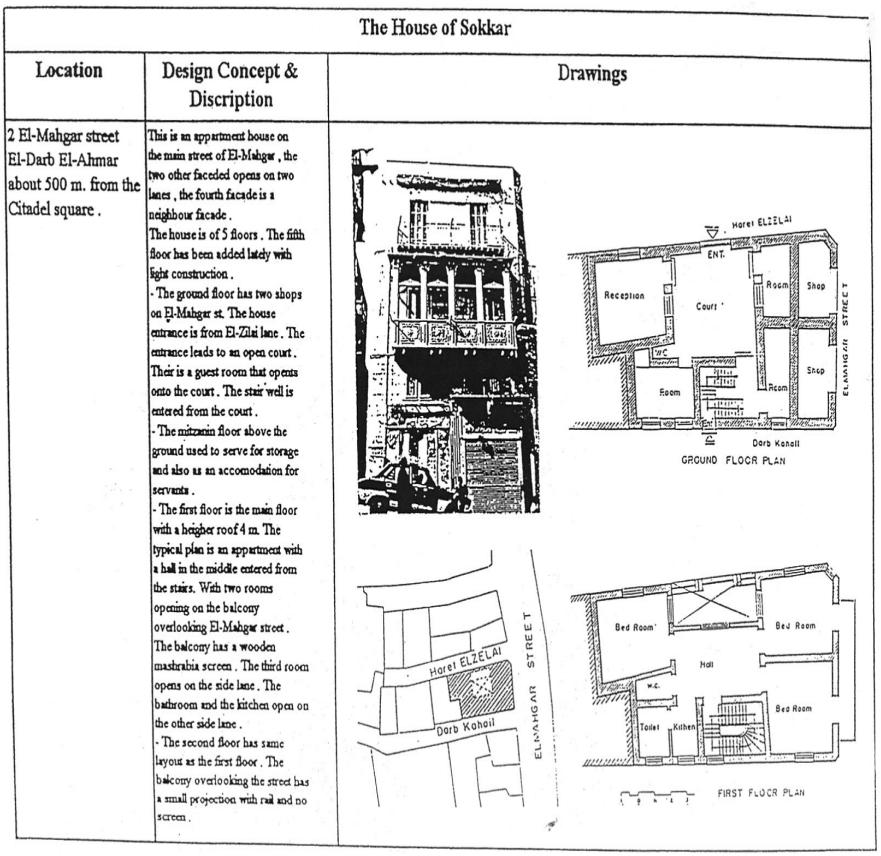

(شكل رقم ١٦) – نموذج وصفي بياني لمنزل "سكر"

٢ – وضع هذه المنازل موضع الاهتمام على الرغم من عدم تسجيلها في قائمة الآثار، وتحفيز السكان على المشاركة في إنقاذها من خلال أعمال الترميم والتجديد، وذلك على الرغم من تواضع حال السكان المادي والمقاومة التي كانت متوقعة من جانب الملاك الذين من مصلحتهم أن تسوء حالة هذه المباني إلى حد الانهيار، ومن ثم تباع أرضها بربح عال. بالإضافة إلى وقوف عامل آخر بصورة غير مباشرة إلى جانب الملاك، ألا وهو تغافل بعض مهندسي الحي عن القيمة التاريخية لهذه المنازل والتصريح بهدمها كغطاء يؤمنهم، ويحمي موقفهم من المساءلة في حالة وقوع أي حادث في أثناء عملية التجديد المزمعة.

تجربة منزل "سكر":

أعدت دراسة لعملية الترميم والتجديد المطلوبة لمنزل "سكر"، وخصصت موازنة لذلك بلغت ٢٠٠٠٠ جنيه مصري. ساهم معهد "جوته" الألماني بنحو ثلثي المبلغ المخصص، وشارك في الثلث الآخر سكان المنطقة ومعهم المالك، ومن حسن اختيار هذه التجربة أن المالك يقطن المنزل وتشترك مصلحته في إنقاذه مع مصلحة السكان. وقد تضمنت أعمال التجديد: تجديد شبكة المياه والصرف بالوحدات، وتزويد بعضها بدورات المياه اللازمة، والأحواض، وتجديد فناء المنزل، كما استبدلت ببعض الألواح الخشبية في الواجهة مظلات تقليدية (رفارف).

وكانت التجربة الناجحة لهذا المنزل حافزاً لسكان منازل أخرى مجاورة إلى طلب تكرار التجربة نفسها معهم. وكانت مثالاً حياً وواقعياً للتغيير الذي يمكن أن تحدثه مشاركة السكان وتعاونهم في تحقيق هدف مشترك. كما أمكن إنقاذ واجهة تاريخية من يد التردي والإهمال وتركها للخراب كما هو الحال مع "بيت الرزاز" بالدرب الأحمر الذي يعد من أعظم البيوت الإسلامية "الخربة".

إن تجديد البيوت التقليدية والمأهولة بالسكان ليس تجديداً ظاهرياً ناجحاً بقدر ما هو اختبار واقعي لاحترامنا لممتلكاتنا ولآثارنا، ولقدرتنا على إدماجها في النسيج الحيوي للمدينة، وفي معيشتنا اليومية بدلاً من النظر إليها على أنها قطعة أثرية بالية، أو واجهة متحفية مهملة تنتظر الموت البطيء.

التطور العمراني في دولة الكويت وجهود الحفاظ:

تشهد الكويت حركة تطور عمراني عصري تتمثل في المخططات الحديثة لشبكات الطرق والتخطيطات الجديدة للأحياء السكنية، والمباني العصرية المرتفعة في وسط المدينة وتتبع الطرز المعمارية السائدة عالمياً. يجري هذا جنباً إلى جنب مع حركة أخرى تنادي باتجاه المحافظة على التراث سواء بالإبقاء على ما أمكن إنقاذه من آثار معمارية تمثل سجلاً للذاكرة المعمارية التاريخية أو باستلهام الخطوط المعمارية القديمة وإدماجها في مشاريع ارتقائية حديثة تجمع بين الحديث والقديم. وانطلاقاً من ذلك اختار الباحث نموذجين يمثلان خطي الحفاظ الرئيسيين: خط الترميم والمحافظة على القديم وخط الارتقاء والبناء على نسق القديم. تمثل الخط الأول بعض بوابات أسوار الكويت التي تم الحفاظ عليها، ويمثل الخط الثاني "سوق الكويت" الذي بني حديثاً مستوحى من بعض خطوط سوق الكويت القديم.

بوابات (دروازات) الكويت:

كشأن كثير من البلدان العربية كان للكويت أسوارها وأبوابها، وقد شهدت دورات من الهدم وإعادة البناء والتوسعة والإزالة وكذلك الحفاظ، (شكل رقم ١٧).

(شكل رقم ١٧) – أسوار الكويت القديمة وبواباتها

سور الكويت الأول:

لسبب دفاعي رئيسي بنى الكويتيون سورهم الأول سنة ١٧٦٠م في عهد الشيخ عبدالله الأول، وكان طوله قرابة سبعمائة متر أو يزيد، وامتد من شرق المدينة القديمة من نقعة "بن نصف" إلى نقعة "سعود" في غربها، وكان عدد بواباته خمساً، هي على الترتيب:

دروازة عبد الرزاق، دروازة الفداغ، دروازة أمديرس، دروازة البدر، ودروازة بن بطي. وتهدم هذا السور طبيعياً ولم يعمر طويلاً(٢٣).

سور الكويت الثاني:

بني هذا السور أكبر من سابقه في عهد الشيخ "جابر العيش" سنة ١٨١١م، وكان يبلغ طوله نحو ٢٣٠٠ متر، وقد تعرضت بعض أجزائه إلى التهدم، فعمل الكويتيون على ترميمه، وتخلل هذا السور سبع دروازات، هي: "دروازة عبد الرزاق"، دروازة القروية، دروازة الشيخ، دروازة أمديرس، دروازة السبعان، دروازة البدر، ودروازة بن بطي(٢٤).

سور الكويت الثالث:

نتيجة مباشرة لمعركة "حمض" ارتأى الكويتيون في عهد الشيخ سالم المبارك الصباح وفي سنة ١٩٢٠م حتمية إقامة سور حصين وبناء قوي يحفظ الكويت من الطامعين فيها ويحيط بتوسعات المدينة، وبلغ هذا السور نحو ٦٤٠٠ متر، وامتد على هيئة قوس كبير يحيط بالمدينة من ساحل البحر شرقاً إلى ساحله غرباً. وقد اشترك أهل الكويت في بنائه وأنجزوه في زمن قياسي بلغ نحو ستين يوماً، وقد بني أساساً من الطين عدا أبراج المراقبة؛ فقد دخل في تشييدها الطوب اللبن، وبلغ سمك جدار السور من منشأه نحو ١,٥ متر، وقلّ سمكه بارتفاع بنائه الذي بلغ نحو ثلاثة أمتار، وقد تخلل السور خمس بوابات رئيسية، هي: بوابة **المقصب**، بوابة **الجهراء**، بوابة **الشامية**، بوابة **البريعصي** (الشعب)، وبوابة **دسمان** (بنيد القار).

---

(٢٣) بلدية الكويت، (١٩٨٠م)، **التطوير والعمران في الكويت**، مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية، ص٥.

(٢٤) سعد العوضي، (١٩٨٧م)، **كويت الماضي**، مطابع الخط، الطبعة الأولى، ص ٤٨.

الحفاظ على بوابات السور الثالث:

نتيجة للتطور العمراني فقد تم هدم السور الثالث لمدينة الكويت عام ١٩٥٧م. وجاء ذلك ضمن المخطط الهيكلي الأول للتخطيط العمراني لمدينة الكويت الذي وضعه سنة ١٩٥٢م مكتب الاستشاري البريطاني "مونوسبريو وسبنسلي"[٢٥].

وانطلاقاً من الحفاظ على بعض معالم السور الأخير، فقد صدر قرار بالإبقاء على بواباته الخمس: بوابة المقصب (شكل رقم ١٨)، بوابة الجهراء (شكل رقم ١٩)، بوابة الشامية (شكل رقم ٢٠)، وبوابة الشعب "البريعصي" (شكل رقم ٢١)، وبوابة دسمان "بنيد القار" (شكل رقم ٢٢). وتمثلت معالم عملية الحفاظ في ترميم هذه البوابات والإبقاء على شكلها القديم وتنسيق الموقع من حولها وإدماجها في مخطط الطرق وحركة المرور من حولها. ويعد الإبقاء على هذه البوابات قراراً حكيماً ورشيداً نظراً لأن أسوار المدن القديمة وأبوابها بصفة عامة من أهم المعالم والمزارات الأثرية المتكررة في كثير من بلدان العالم التي تحفظ ذاكرة التاريخ المعماري في وجدان الأجيال المتعاقبة.

(شكل رقم ١٨) – بوابة المقصب: جهة داخل السور

(شكل رقم ١٩) – بوابة الجهراء: جهة داخل السور

(٢٥) بلدية الكويت، (١٩٨٠م)، **التطوير والعمران في الكويت**، مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية، ص٧.

(شكل رقم ٢٠) – بوابة الشامية: جهة خارج السور

(شكل رقم ٢١) – بوابة الشعب (البريعصي): جهة خارج السور

(شكل رقم ٢٢) – بوابة دسمان (بنيد القار) جهة داخل السور

وفي الكويت – بصفة خاصة – فإن رصيد الآثار الكويتية يعد قليلاً بالقياس إلى كثير من بلاد الشرق، ومن ثم فإن الإبقاء على مثل هذه الآثار والحفاظ عليها يمثل أهمية بالغة للكويتيين وللتاريخ الكويتي؛ حيث يسهم في الحفاظ على الهوية المحلية للشخصية الكويتية، والإبقاء على الأشكال التراثية حية وواقعية يشاهدها المواطنون في غدواتهم وروحاتهم، كما يمثل الحفاظ

عليها مصدر إلهام للمعماريين والمصممين والفنانين التشكيليين الكويتيين المهتمين بالتراث والاستلهام من خطوطه للمواءمة بينه وبين الخطوط العصرية للتصميمات الحديثة، ومن ثم استنباط اتجاه رصين من التصميمات يجمع بين الأصالة والمعاصرة.

"سوق الكويت" بالمباركية:

قامت بلدية الكويت بعمل الدراسات اللازمة لإنشاء "سوق الكويت"، وكانت مفاهيم الحفاظ المحركة لهذا المشروع هي الارتقاء بالمنطقة المزمع إعادة إنشاء السوق فيها وتشييد سوق حديث في منطقة السوق القديم الذي تم هدمه على أن يحمل بعضاً من ملامحه المعمارية التشكيلية وقيمه التراثية التاريخية والحفاظ العام على الهيئة التاريخية للمنطقة وإدماجها في الحياة العصرية للمواطنين. وعهدت البلدية إلى مكتبين استشاريين للقيام بعمل الدراسات المكملة والمخططات اللازمة وهما مكتب المهندس الكويتي (KEO) وشركة "ويليام سميث وشركاه" William Smith & Associates (WSA).[٢٦]

منطقة السوق:

تقع منطقة "سوق الكويت" ضمن نطاق يبلغ مساحته نحو ٤٢ هكتاراً في قلب مدينة الكويت، يحده من الشمال الشرقي شارع "مبارك الكبير"، ومن الشمال الغربي شارع "علي السالم" ومن الجنوب والجنوب الشرقي شارعا "فهد السالم" و "أحمد الجابر". ولا يقتصر هذا النطاق على "سوق الكويت" فقط ولكن يشمل عدة مناطق أخرى، من أهمها حدائق البلدية، ومناطق النشاطات التجارية المختلفة، ومناطق الصرافة، (الشكلان رقما ٢٣، ٢٤).

(٢٦) Kuwait Engineers office. (1980), **Kuwait Souk Study:** Historical Record Report. Kuwait Muncipality. (P. 17).

(شكل رقم ٢٣) – منطقة سوق الكويت

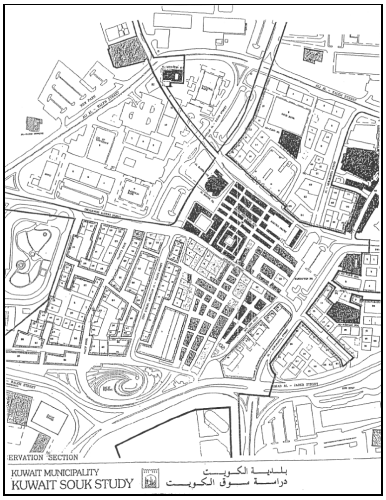

(شكل رقم ٢٤) – دراسة محاور سوق الكويت وطرقها

تخطيط السوق:

أنشئ السوق سنة ١٩٨٣م، وتم تخطيطه على نهج الأسواق الخليجية القديمة، واتخذ هيئة شبكة من الطرق المتقاطعة التي ترتبط نهاياتها بشوارع المدينة الرئيسية، وعلى جانبي كل شارع من شوارع السوق تصطف المحال في تتابع متصل يسم كل مجموعة منها بنشاط معين، وتعلو كل محل لافتة تشير إلى اسم المحل ونشاطه في بساطة مظهر مثلما كان شأن دكاكين السوق القديم. (الأشكال أرقام ٢٥، ٢٦، ٢٧).

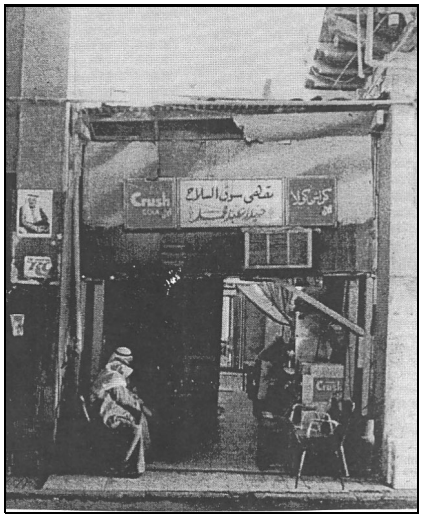

(شكل رقم ٢٥) – سوق الكويت القديم

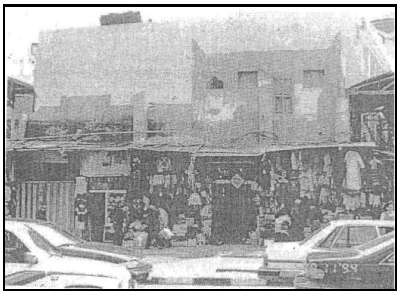

(شكل رقم ٢٦) – سوق الكويت القديم

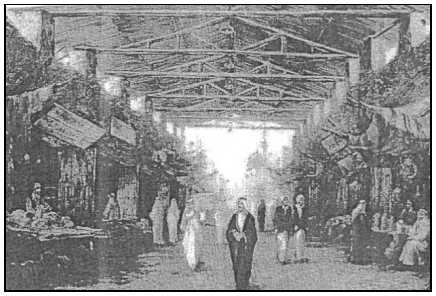

(شكل رقم ٢٧) – سوق الكويت القديم

ونظراً لكبر حجم السوق الجديد عن سالفه فقد شغلت بعض مساحاته أنشطة جديدة على غير سابق العهد بها في الخمسينيات. فبعض المناطق السكنية قديماً يحتلها سوق الأطعمة الطازجة حالياً. وبصورة عامة يلاحظ أن السوق السابقة كانت تتخللها بعض البيوت والمساكن مما استبعده مخطط السوق الحديث. والحال نفسه مع أسواق الأقمشة والسجاد والصرافة فقد شغلت مساحات كانت تشغلها المساكن سابقاً[٢٧]، (الأشكال أرقام ٢٨–٣٠).

(شكل رقم ٢٨) – محاور سوق الكويت

(شكل رقم ٢٩) – محاور سوق الكويت

(٢٧) Kuwait Engineers office. (1980), **Kuwait Souk Study:** Historical Record Report. Kuwait Muncipality. (P. 18).

(شكل رقم ٣٠) – سوق الكويت من الداخل

وتراوح عروض الطرق في السوق الحديث بين ٧ أمتار و ١٤ متراً للطرق الرئيسية، وبين ٤ أمتار و٧ أمتار للطرق الفرعية، ومن الطرق الرئيسية شارع عبدالله السالم (الشارع الجديد)، وشارع الغربللي، ومن الشوارع الفرعية شارع "سوق الحريم" وسوق "واجف". وكانت بعض طرق السوق القديم مغطاة بعوارض من خشب الصندل والبامبو، يعلوها الحصر الذي يتم تغطيته بطبقة من الملاط الطيني بسمك مقداره بين ٣ و ٥ سم لتحمي السوق من وهج الشمس. واستخدم في السوق الحديث أساليب عدة للتسقيف، من ذلك العوارض الخشبية ذات القطاعات السميكة والأشكال المتنوعة، (الشكلان رقما ٣١، ٣٢).

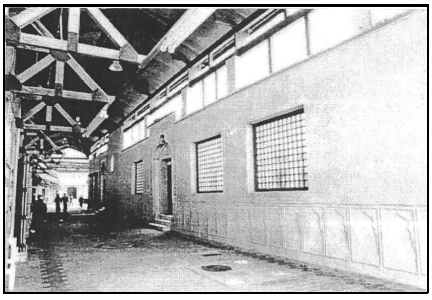

(شكل رقم ٣١) – تسقيف سوق الكويت

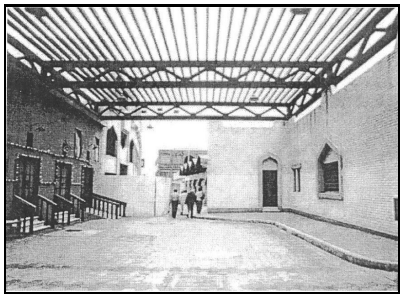

(شكل رقم ٣٢) – تسقيف سوق الكويت

ومعظم الشوارع قاصرة على مرور المشاة فقط، وبعضها يسمح بمرور السيارات في ساعات محددة لتوصيل الخدمات من محال السوق وإليها. وكانت أرضيات السوق السابقة – أصلاً – تتكون من دكة ترابية، ولكن مع دخول السيارات إليها في الثلاثينيات من القرن الفائت استخدم الركام وكسر الحجر في رصفها، وفي الخمسينيات أضيفت إليها طبقة علوية من الإسفلت. أما أرضية السوق الجديد فهي من القوالب الخرسانية الملونة المقاومة للاحتكاك، وذلك في الطرق الخارجية، أما الممرات والمشايات داخل السوق فهي من البلاطات الحديثة، (الشكلان رقما ٣٠،٣٣).

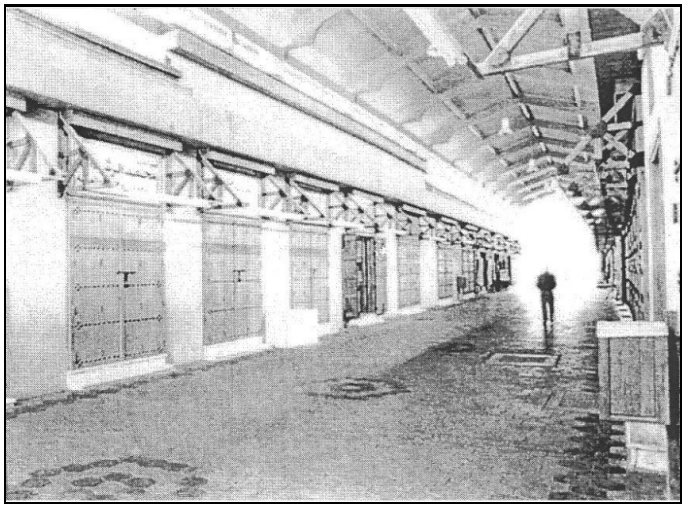

(شكل رقم ٣٣) – واجهات السوق وأرضياته

وعن المواد المستخدمة في السوق السابقة فقد كان معظمها مواد طبيعية من الطوب النيء الذي يستخدم في تشييد المباني ذات الحوائط الحاملة والكتل الخشبية التي تدعم البناء كما يستخدم في الأسقف، وكان البياض المستخدم هو بياض الجص المقاوم للحرارة. كما استخدم خشب الصندل والبامبو في عمل الأعتاب العلوية لأبواب المحال. وتجدر الإشارة إلى أن بعض مناطق السوق السابقة استخدم في بنائها الحجارة المرجانية البحرية Sea Corals؛ حيث يرص بعضها إلى بعض، ويثبت بمونة الطين وهشيم الخشب. أما الألوان الخارجية

للسوق القديم فكانت ألوان الحجر الرملي والطين الطفلي للتعبير بشكل عضوي طبيعي عن المواد الداخلة في البناء وعمليات النهو[٢٨].

ومع اختلاف مواد التشييد الحديثة وأساليبه في بناء السوق الجديد فإن التصميم المعماري راعى محاكاة ملامح السوق القديم وألوانه وكثيراً من عناصره التشكيلية، ويبدو ذلك واضحاً في كثير من ملامح التصميم، ومنها واجهات المحالّ، (شكل رقم ٣٤)،وفي المصبعات الحديدية بالنوافذ، (شكل رقم ٣٥)، وفي العناصر التقليدية مثل مصاطب ودكك الجلوس، (شكل رقم ٣٦). أما في السوق الجديد فقد استحدث بعض المصاطب لاستخدام الباعة المؤقتين بنظام المؤاجرة وعرض بضائعهم؛ وذلك للمحافظة على نسق عام وطابع منظم للسوق لا يفسده التصرفات العشوائية لهؤلاء الباعة.

(شكل رقم ٣٤) – واجهة محل

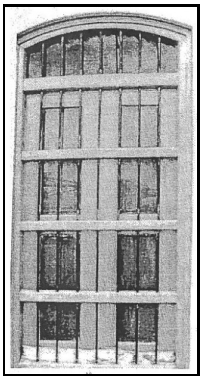

(شكل رقم ٣٥) – المصبعات الحديدية بالنوافذ

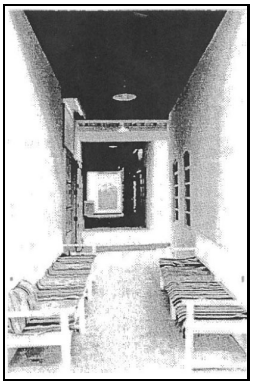

(شكل رقم ٣٦) – دكات الجلوس

(٢٨) idem

إن تجربة "سوق الكويت" في الحفاظ على التاريخ تجربة ناجحة بكل المقاييس سواء من ناحية التخطيط العمراني والتصميم المعماري الذي يجمع بين المعاصرة في الأداء الوظيفي وبين الأصالة في الخطوط التقليدية للسوق القديم، أو من ناحية الارتقاء بالمنطقة وإدماجها في النسيج الحيوي للمحيط الحديث من حولها، أو من ناحية تعايش المواطنين مع خدمات حضارية عصرية في شكل تقليدي تراثي له ذكرى عزيزة ومحببة لديهم. وهي تجربة تحسب – بجدارة – في سجل الحفاظ على المناطق التاريخية العربية وفي سجل المنجزات العمرانية الكويتية الحديثة.

الخلاصة والتوصيات:

- إن تجارب الدول الأوروبية في مجال الحفاظ تتميز بالتنوع في تطبيق مفهوم الحفاظ، وإن القوانين والتشريعات التي تحمي المناطق التاريخية هي العامل الحاسم في المحافظة على هذه الثروات وفي تحديد تفاصيل العمليات المطلوبة للحفاظ سواء بالترميم أو الصيانة أو التجميل أو إعادة التوظيف أو تشريعات البناء بجوار الأثر أو الارتقاء بالمنطقة المحيطة.
- هناك تجارب متنوعة تجمع بين مفهوم الحفاظ التقليدي من حيث هو عملية ترميم للمباني التاريخية كما هو الحال في تجربة "فاس" وفي "بوابات الكويت"، وبين الصيانة والتجديد كما هو الحال في مباني حي الأزهر بالقاهرة، وبين التجميل والارتقاء بالبيئة المحيطة كما هو الحال في "قرية أصيلة" بالمغرب، وبين البناء على نهج الطابع القديم كما هو الحال في حديقة الحوض المرصود بالقاهرة وفي سوق الكويت.
- إن ترميم الآثار وصيانتها وتجميلها مجال يتطلب تشجيع التخصصات المعمارية والفنية على التخصص فيه بالدراسات العليا والخبرة العملية لما في هذا المجال من جوانب فنية كثيرة، ولما لهذه التخصصات من الكفاءة الفنية في التعامل معها جنباً إلى جنب مع التخصصات الأثرية. وإن لبعض المعماريين سبق فضل في هذا الصدد، وهو ما يحتم تشجيع

المصممين الفنيين، والفنانين التشكيليين من مصورين ونحاتين على طرق هذا المجال. ونوصي بالتوسع في إرسال البعثات لاكتساب الخبرات التقنية والفنية في مجال الترميم والصيانة والتجميل.

- إن الارتقاء بالمنطقة المحيطة بالأثر مشروع ضخم لابد أن يستند إلى دراسات عديدة ومكثفة يقوم بها خبراء في تخصصات مختلفة: مهندسو بيئة، مخططون عمرانيون، معماريون، مصممون فنيون، فنانون تشكيليون، أثريون، خبراء ترميم، مؤرخو فن، باحثون اجتماعيون، اقتصاديون، قانونيون، خبراء مواصلات، ممثلو السلطات الحكومية ومجالس الأحياء، وآخرون.
- إن دور المعماري أو المصمم الفني أو الفنان التشكيلي هو دور مميز في عملية الارتقاء بالمنطقة التاريخية ومختلف عما يقوم به عادة في غير هذا المجال؛ بمعنى أنه لابد أن يكون له من الدراية التاريخية والثقافية والفنية الواسعة ما يؤهله للتعامل مع الأثر والمنطقة المحيطة به.
- إن علينا تشجيع التخصص في المجالات الحديثة لمفهوم الحفاظ على المناطق التاريخية مثل أعمال تنسيق المواقع المحيطة بالأثر، وإعادة توظيف المباني الأثرية وتجديدها وتجميلها، وهي المجالات التي برع الغرب في الإبداع فيها، ويحتم علينا رصيدنا الأثري في الشرق الحرص على مضاهاتهم في ذلك.

المراجع

أولاً – المراجع العربية:

- مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، (١٩٨٦م)، **الارتقاء بالبيئة العمرانية للمدن**، دار الشروق، القاهرة.
- د. حسام عزمي، د. محمد إلهامي علي، (١٩٩٥م)، **أهمية ازدهار النسيج الحيوي للمدينة التاريخية**. Architectural Heritage & Tourism Architecture, Socity of Egyptian Architects, Cairo..
- عبدالرحمن زكي، (١٩٦٦م)، **الحفاظ على القاهرة الإسلامية وتنميتها**، جمعية التنمية الحضارية للقاهرة الإسلامية، القاهرة.
- المكتب العربي للتصميمات والاستشارات الهندسية، (١٩٨٠م)، **إحياء قاهرة العصور الوسطى**، القاهرة.
- إبراهيم المويلحي، (١٩٨٠م)، **الحفاظ على القاهرة الإسلامية وتنميتها**، جمعية التنمية الحضارية للقاهرة الإسلامية، القاهرة.
- عبدالحليم إبراهيم، (١٩٨٧م)، **الارتقاء بالأحياء الشعبية في المراكز الحضرية**، مجلة عالم البناء، العدد ١٠٢، القاهرة.
- بلدية الكويت، (١٩٨٠م)، **التطوير والعمران في الكويت**، مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية، الكويت.
- سعد العوضي، (١٩٨٧م)، **كويت الماضي**، مطابع الخط، الطبعة الأولى، الكويت.

ثانياً – المراجع الأجنبية:

- Yousry, A. (1995), **"Tward an Appropriate Approach to Conservation of Historica Areas in Egypt,"** Architectural Heritage & Tourism Architecture, Socity of Egyptian Architects, Cairo.
- Inter Nationes Bonn- Bad Godesberg. (1974), **The Conservation of Historical Monuments in the Federal Republic of Germany,** Heing Moos Verlag, Munich. Germany.

- Aga khan Foundation. (1983), **the Aga Khan Award Catalog** A.U.C press, Cairo.
- Meinecke, M. (1980), **Islamic Cairo: Architectural Conservation and Urban Development of the Historic Center**, German Institute of Archaeology, London.
- The Arab Bureau For Design & Technical Consultations**, Upgrading and Rehabilitation of al - Gmaliya Quarter**, Cairo, Egypt, Final Background Report, July 1985
- Aga khan Foundation. (1989), **the Aga Khan Award Catalog** A.U.C press, Cairo.
- Said, S.Z. (1995), **"Old Houses of Cairo: An Experiment to Save Them"**, Architectural Heritage & Tourism Architecture, Society of Egyptian Architects, Cairo.
- Kuwait Engineers office. (1980), **Kuwait Souk Study:** Historical Record Report. Kuwait Muncipality. Kuwait.